# أثر المقبولية في تحليل الخطاب القرآني – تفسير الميزان أنموذجاً

# Effect of "Acceptability " in Analyzing the Qur'anic Discourse , (Tefsir Al-Mizan) as a model

خيرالدين علي الهادي
جامعة الحمدانية– كلية التربية
أ.د. نجاح فاهم العبيدي
جامعة كربلاء– كلية التربية

Khair Al-Din Ali Al-Hadi
University of Al-Hamdaniya /College of Education
Dr. Najah Fahim Al-Obaidi
University of Karbala -College of Education

الكلمات الافتتاحية: أثر– المقبولية–تحليل الخطاب–تفسير الميزان– النص– المتلقي
Keyword: Impact - Acceptability - Discourse Analysis - Interpretation of the Balance - Text – Recipient

**الملخص**

المقبولية من المعايير النصية، يقصد بها مدى استجابة المتلقي للنص وقبوله له، فهي تُعنى باستقبال المتلقي للنص متماسكًا ومنسجمًا وذا نفعٍ للمتلقي، ويزدان بقوة عملية التفاعل بين النص والمتلقي، ويتوقف مستوى المقبولية في النص على مقدار تحقق التماسك والانسجام في النص؛ باعتبارهما يساعدان المتلقي على متابعة ترابط النص، ويسهمان في سد الفجوات اللغوية التي قد تظهر للمتلقي في النص، مما يساعد على استمرارية الدلالة التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات المتماسكة فيما بينها داخل النص؛ لذا فالمقبولية أمر يتعلق بالمتلقي أساسًا ومدى قبوله أو رفضه للنص، وهذا يعني ارتباطه بالتداولية فهذا المعيار يؤكد تداولية النص والخطاب.

**Abstract**

Acceptability is one of the textual criteria that means how well the recipient responds to the text and accept it . Thus, it deals with receiving the text by the recipient whether it is coherent, harmonious and beneficial to him / her (i.e) the recipient . It is adored by the strength of interaction between the text and the recipient .

However, the level of accepting the text depends on the coherence and harmony in the text and how far they are consistent because they help the recipient follow the interconnection of the text moreover, they contribute to brining the linguistic gaps that may appear in the text to the recipient. That helps in the continuity of the significance that is reflected in the system of concepts and the coherent relationships within the text.

Therefore , the acceptability is a matter related to the recipient basically and the extent to which he/she accepts or rejects the text. That means that it is related with pragmatics . So, this criterion confirms the pragmatics of the text and discourse.

**التمهيد**

يرى(بوجراند) أن المقبولية أو التقبلية تتضمن موقفاً مستقبلاً النص بإزاء كون صورةٍ ما من صورِ اللغة ينبغي أن تكون مقبولة من حيث نص له سبك والتحام[١]، لذا فالمقبولية هي المعيار الرئيس من المعايير النصية، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعايير الأخرى، ولاسيما السبك والحبك، وتتوقف التقبليَّة على مجموعة من العوامل، منها كما سبق الاتساق والانسجام، ومنها ما يتعلق بالسياق ،إذ يؤكد علماء النص أن أحد معايير الحكم على النص بالقبول أو الرفض هو مدى ملائمته للسياق الذي يرد فيه[٢]، ((وكانت المقبوليّة عند العرب – قبل نزول القرآن – تُعرف من حال مراعاة الكلام لمقتضى الحال . أمّا بعد نزول القرآن ، فكان البحث عن اللمسة البيانيّة ، ومحاولة فهم النصّ الكريم ، وتأويله؛ لإظهار جوانب الإعجاز ، والجمال فيه. ويختلف النصّ القرآنيّ عن باقي النصوص الأدبيّة في كون معيار القبول لتلك النصوص مرتبطاً بمجموع الدلالات التي يطرحها النصّ بشرط تماسكها ، وتحديدها بعيداً عن الاحتمالات الدلاليّة))[٣]، والنص القرآني يمكن أن يتحمَّل مختلف الاحتمالات الدلالية المقبولة؛ إذ يتوقف على رؤية المتلقي التي ينظر منها، أو على مجاله العلمي الذي يبحث النص فيه، زيادة على ذلك يتوقف على ثقافة المتلقي، وخلفيَّته الدينية والقومية والمذهبية وغير ذلك من الميول الشخصية، ونقل أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) عن الزجاج قوله في الآية القرآنية: (فتقبلها ربها بقبول جسن)[٤]، أي بتقبل حسن ولكن قبول محمول على قوله قبله: قبولا حسنا، يقال : قبلتُ الشيء قبولا : إذا رضيته[٥].

والمقبولية في المعاجم العربية لم تبتعد دلالتها عن دلالة كونها معياراً نصيا؛ إذ قال ابن منظور: ((قَبِل الشيء قَبولا وقُبولا. والتقبل: القبول، يقال : تقبل الله منك عملك والقُبل: من اقبالك على الشيء، تقول: قد أقبلت قُبلك، كأنك لا تريد غيره))[٦].

وأما أهل الاصطلاح فقد حددوا ضوابط للمقبولية، وذكروا لها تعريفات عدة في اصطلاحهم، فقد ربط الباقلانيّ مقبوليّة النص بقوة البصيرة ، وكمال المعرفة، إذ قال : ((فمَنْ كانتْ بصيرته أقوى ، ومعرفته أبلغ كان القبول منه أسبق ، ومَنْ اشتبه عليه وجه الإعجاز ،

(١) ينظر: النص والخطاب والجزاء: ١٠٤.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٩١.
(٣) المقبولية في الخطاب القرآني: ٩٨.
(٤) آل عمران/٣٧.
(٥) تهذيب اللغة مادة (قبل): ١٣٦/٩.
(٦) لسان العرب / ابن منظور: ١٦٦/٥-١٦٨.

أو خفي عليه بعض شروط المعجزات ، وأدلّة النبوّات كان أبطأ في القبول))[١]، وعرّفها الجرجاني بقوله: ((المقبولات هي قضايا تؤخذ ممن يُعتقد فيه، أما لأمر سماوي من المعجزات، والكرامات، كالأنبياء، والاولياء، وأما لاختصاصه بمزيد عقل، ودين ، كاهل العلم، والزهد ، وهي نافعة جداً في تعظيم امر الله))[٢] ، وقيل المقبولية بمعنى ترتب المقصود على الطاعة[٣]

أما عند المحدثين ،((فالمقبولية هي معلومات تتعلق بحكم المتحدث باللغة الأم على لفظ معين بأنه صحيح ، أو غير ملائم، وهو يخص باهتمام علم اللغة، وفي النحو التوليدي هي تلك القوانين التي تحاول تحديد الجمل المصاغة بطريقة صحيحة، وغير الصحيحة في لغة ما))[٤].

وقيل أيضًا القبول يعني: ((موقف متلقي النص حول توقع نص متماسك، ومتناسق))[٥]، وقد حاول بعض الباحثين أن يوجز العوامل المؤثرة في المتلقي على النحو الآتي[٦] :

- معرفة المتلقي بنوع النص ، ومعرفة من هو المنتج ؟.
- معرفة المتلقي لقصد المنتج أي دلالة النص العامة .
- تعتمد نسبة قبول النص على أهمية النص بالنسبة إلى متلقيه .
- تعتمد نسبة قبول النص على الخلفيات الفكرية والأيدولوجية التي يتمتع بها مستقبل النص .
- تعتمد أيضاً على الخصائص النفسية التي يتمتع بها المتلقي ، ذلك أنّ الحالة النفسية تؤثر في الحالة الذهنية .

ويتضمن معيار التقبلية – بوصفه أحد مقومات النص – موقف مستقبل النص على أن صورة اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة ، من حيث هي نص مترابط نحويًا ودلاليا ، ذو نفع للمستقبل أو ذو صلة به ، وهذا يعني أن فكرة التقبلية تتجه صوب المتلقي، والمقبولية تختلف من مُتلقٍ إلى آخر، وهذا يعني أن النص الواحد قد يحقق معيار التقبلية عند متلق، ولا يحققه عند متلق أخرى، مما يحيل على اختلاف القراء والمتلقين بصفة عامة، وتجدر الإشارة إلى أن المتلقي لا

(١) اعجاز القرآن ، للباقلاني: ٢٢.
(٢) التعريفات: ١٨٢-١٨٣.
(٣) الكليات: ٦١٦.
(٤) معجم اللغة واللسانيات: ١٤.
(٥) المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ١٢٦.
(٦) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٥٥.

يكون حازما وصارما في تقبله للنص؛ بل قد يقبله أو لا يقبله بحسب المعطيات والذائقة التي يعكسها المعيار الذي جبُل عليه فطرته، أو تعلَّمه عبر مسالك التدريب والتعليم .

ولا شك في أن العرب القدامى كان لهم مساهمة في قضية المقبولية، فنجدهم يقبلون التركيب ويرفضونه بحسب قواعد نحوية ودلالية؛ فمثلا في كتاب سيبويه نجد باباً موسوماً بـ (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة) قال فيه صاحبه: ((من الكلام: مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب؛ فأما المستقيم الحسن، فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غداً، وأما المحال: فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب، فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، وأما المستقيم القبيح، فأن تضع اللفظ في غير موضعه؛ نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيدٌ يأتيك، وأشباه هذا، أما المحال الكذب، فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر امس))[١]، ومن جانب آخر نجدهم يقبلون مثلاً الدلالة على النفي المطلق للخبر الداخل عليه، وشواهدهم في ذلك الاستعمال القرآني لهذه الطريقة في النفي، وزيادة على ذلك، وجدوا أنّ الجملة الاسمية تدلُّ على الثبوت، والدوام، ولعل خير مثال قوله تعالى: ((فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ))[٢] فالآية الكريمة نوَّهت إلى مدح المهتدين الى طريق الحق؛ لذا جاء التركيب نافياً الخوف والحزن عن المتعلقين، ذلك أنّ النفس البشرية تميل إلى الخوف والحزن، فالحزن ما يحصل للإنسان من مكروه ماضٍ أو حاضر، والخوف ما يشعر به الانسان من مكروه في المستقبل[٣]، وإذا كان النص القرآني نفى الاثنين معاً فقد استعمل أبلغ تركيب، فالله تعالى نفى عنهم كل نوع من أنواع الخوف في المستقبل باستعماله (لا) النافية للجنس، واستعمالها يدل على عموم الجنس، وهنا جاء الخبر جملة فعلية(لا يحزنون)، والجملة الفعلية تأتي للدلالة على الحدوث، والتجدد، وتظهر مقبولية النص القرآني الكريم في استعماله التراكيب التي تناسب المعنى المطلوب وتناسب أيضًا السياق الذي يرد فيه، قد أظهر علماء اللغة ، والبلاغة تفوق النص الكريم، ورفع مقبوليته على غيره ، ولذا يلحظ أنّ العلماء كانوا يظهرون المزية التي في بيان القرآن الكريم ، وعلو بلاغته ، وجودة نظمه .

ومن يبحث في التفاسير اللغوية، والبلاغية يجد وقفات طويلة في مفردات النص القرآني التي تُعنى بنفسية المؤمن، برسم السلوك البشري السوي، وإلقاء الأوامر الالهية، ومن ذلك ما نقل عن بعض العلماء، إذ وازن بين قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة)[٤]، مع

(١) الكتاب ، سيبويه: ١/٢٥-٢٦.
(٢) البقرة: ٣٨.
(٣) المقبولية في الخطاب القرآني: ١٠٢.
(٤) البقرة: ١٧٨.

القول المأثور: (القتل أنفى للقتل)[١]، ((ويتبيّن فضل هذا الكلام إذا قرنته بما جاء عن العرب في معناه، وهو قولهم: (القتل أنفى للقتل) ، فصار لفظ القرآن فوق هذا القول لزيادته عليه في الفائدة، وهو إبانة العدل لذكر القصاص وإظهار الغرض المرغوب عنه فيه لذكر الحياة، واستدعاء الرّغبة والرّهبة لحكم الله به ولإيجازه في العبارة. فإنّ الذى هو نظير قولهم: (القتل أنفى للقتل) إنما هو: (القصاص حياة) وهذا أقلّ حروفًا من ذاك، ولبعده من الكلفة بالتكرير، وهو قولهم: (القتل أنفى للقتل)، ولفظ القرآن بريء من ذلك، وبحسن التأليف وشدة التلاؤم المدرك بالحسّ؛ لأنّ الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة))[٢].

ومن الإيجاز على شاكلة (القتل أنفى للقتل)، قوله تعالى ((هدى للمتقين))[٣]؛ إذ إن العقل يحكم بضرورة الهداية للضالّ لا للمهتدي، والمجاز أحكم قبضته في الخطاب بوصف الشيء بما يؤول إليه فتصدَّرت سورة البقرة بذكر ووصف أولياء الله تعالى بهذا الوصف البليغ الذي يمنحه سمة المقبولية عند المتلقي بأسلوب مختصر هادف ومحكم.

ومن ذلك أيضًا استعمال مفردة معينة للدلالة على معنى بلاغي، لا تتحقق الدلالة المقصودة باستعمال غيرها من الألفاظ؛ إذ انّ الملفوظ أصاب المعنى، ودلَّ على الغرض البلاغي في الوقت نفسه، ومن ذلك كلمة (عرضَّتم) في قوله تعالى ((ولا جناح عليكم فيما عرضَّتم به من خطبة النساء))[٤]، فالمفردة (عرضَّتم) تشير إلى استعمال أسلوب التعريض، المشتق من الكلمة نفسها، ويبدو أنّ علماء البلاغة قد استعملوا هذا الملفوظ مستندين إلى ما جاء في هذه الآية الكريمة ، فالمعنى الذي يقيده استعمال المفردة هو عدم التصريح بالخطبة للمرأة المعتادة، وهو ما يوحي بغاية أخلاقية، تحققها هذه المفردة، وتبيِّن منهج القرآن الساتر للمرأة المعتدة وهي ممنوعة من النكاح[٥]، وتبعا لذلك تتوقف عناصر المقبولية في النص على موقف المتلقي، وبناء السياق، واتساع الدلالات، ويمكن بذلك أن نسوغ لأصحاب نظريات التلقي جعلهم القارئ بمرتبة الطرف الثاني من المعادلة بوصفه جزءًا من العملية الابداعية، وعلى هذا قد تكون المقبولية في مستوى الألفاظ، أو في مستوى التركيب، أو البلاغة، والسيد الطباطبائي ركز على عنصر المقبولية في تحليله للنص القرآني ولا سيَّما في مستويات الألفاظ والتركيب كما سيتضح .

---

(١) الصناعتين، أبو هلال العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ):١/١٧٥.

(٢) الصناعتين: ١/١٧٥.

(٣) البقرة:٢.

(٤) البقرة: ٢٣٥ .

(٥) الدرس النحوي النصي في كتب اعجاز القرآن: ١٥٨.

## المبحث الاول

## المقبولية على مستوى الألفاظ والتراكيب

تمثل الوحدات التعبيرية مادة الخطاب الذي يشكل المعنى غايته ومضمونه، فالملفوظ الذي يمثل الوحدة الجُمليَّة الصغيرة تختلف دلالتها من سياق إلى آخر، ويتأثر بالاطار الاجتماعي والثقافي المشترك بين المتلقي والمرسل في تحديد القراءة الدلالية التي يمكن أن تكون الأقرب إلى المقصود، ويحقق الصحة اللغوية، والتفسير والتأويل للنصوص المختلفة كشف عمق النص القرآني وقدرته على استيعاب القراءات المتعددة؛ ليكون أكثر مقبولية من غيره عند متلقِّيه، وحُسنُ الاستعمال القرآني للألفاظ زانها تميُّزا على باقي النصوص النثرية أو الشعرية، فقوة الملفوظ ضمن السياق القرآني واضحٌ بيِّنٌ، والسيد الطباطبائي كان متوجهاً في تفسيره إلى قدرة النص القرآني على التقبليَّة، إذ قال في مقبولية قوله تعالى: ((الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ قالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ))[1]، إذ هناك تباينٌ في توجيه الخطاب من جهة استعمال لفظ(فتح) في التعامل مع المؤمنين، ولفظ(نصيب) في التعامل مع الكافرين، هذا التباين يوجهه التأويل بشكل يتناسب مع تقبُّليَّة الأمر، قال السيد الطباطبائي: ((عبر عما للمؤمنين بالفتح لأنه هو الموعود لهم، و للكافرين بالنصيب تحقيرا له فإنه لا يعبأ به بعد ما وعد الله المؤمنين أن لهم الفتح و أن الله وليهم، و لعله لذلك نسب الفتح إلى الله دون النصيب))[2]، وفي الخطاب وصف للمنافقين الذين كانوا يترددون بين المؤمنين والكافرين فحفظوا رابطة الاتصال بالفريقين، يستدرون الطائفتين و يستفيدون ممن حسُن حاله وغلب أمره منهما، فإن كان للمؤمنين فتح قالوا: إنا كنا معكم؛ ليكون لهم سهم الغنيمة و نحوها، و إن كان للكافرين نصيب قالوا: أ لم نغلبكم و نمنعكم من المؤمنين؟ أي من الإيمان بما آمنوا به و الاتصال بهم؛ ليكون لهم سهم النصيب أو منة على الكافرين باعتبارهم أسهموا في جرِّ النصيب إليهم))[3].

وفي الخطاب أشار السيد الطباطبائي إلى تشريف المؤمنين وتعظيم شأنهم باستعمال لفظ(الفتح)، وفي المقابل هناك تحقيرٌ للكافرين باستعمال لفظ(النصيب)، فالحاصل من المكتسبات بالنسبة إلى المؤمنين يكون بالقدرة الالهية لا ببسالة أحد أو فضله على المؤمنين، وقد وعدهم الله تعالى بذلك؛ لذلك اقترن الخطاب بشبه الجملة(من الله)؛ فهو يتولى المؤمنين بالراعية والدعم والاسناد؛ وفي الأمر مبالغة بالتشريف والتكريم فليس لأحد منة عليهم، على

(١) النساء: ١٤١.

(٢) تفسير الميزان: ٥/٦٤.

(٣) المصدر نفسه: ٥/٦٧.

خلاف الكافرين الذين يصاحب نصيبهم مع التمكن شبه الجملة(عليكم) ليتضمن دلالة الاستعلاء عند المنافقين على الكافرين في حال غلبتهم على المؤمنين، وهذا مدعاة إلى استصغارهم وتحقيرهم، ذلك أن انتصارهم المرتقب إنما جاء بفضل المنافقين معهم، وهذا الحسن في اختيار الألفاظ كلّ في مقامه الذي يستلزمه الاستعمال يتناسب مع مقبولية الخطاب فيما يتعلق بالمؤمنين أو بالكافرين على المستوى المعجمي.

ومن المواضع الأخرى التي ثبت مقبوليَّته عن السيد الطباطبائي على مستوى الألفاظ أو المستوى المعجمي تحليله لمقبولية الخطاب في قوله تعالى: ((**وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ**))[١]، إذ يرى السيد أن الحذف أبلغ من الذكر في هذا الخطاب، وأقرب إلى المقبولية، فقال: ((و جزاء لو محذوف لدلالة الكلام عليه فإن الكلام معقب بقوله: "بل لله الأمر جميعا" و الآيات – كما عرفت – مسوقة لبيان أن أمر الهداية ليس براجع إلى الآية التي يقترحونها بقولهم: "لو لا أنزل عليه آية" بل الأمر إلى الله يضل من يشاء كما أضلهم و يهدي إليه من أناب))[٢]، ثم أشار إلى أن المراد بالمحذوف بيان عظم شأن الخطاب القرآني وبلوغ غايته القصوى في قوة البيان، ونفاذ أمره وكذلك الاشارة إلى جهالة الكفار آنذاك بإعراضهم عن الخطاب القرآني[٣]، وهذا أبلغ لتحقق مقبولية الخطاب، وزاد على ذلك بقوله: ((و المعنى: أن القرآن في رفعة القدر و عظمة الشأن بحيث لو فرض أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى – أو في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع))[٤]، وبين السيد الطباطبائي بلاغة الاختصار والايجاز في الخطاب، فقال: ((فتقدير الكلام بحسب الحقيقة: أ فلم يعلم الذين آمنوا أن الله لم يشأ هدايتهم و لو يشاء لهدى الناس جميعا أ و لم ييأسوا من اهتدائهم و إيمانهم؟ ثم ضمن اليأس معنى العلم و نسب إليه من متعلق العلم الجملة الشرطية فقط أعني قوله: "لو يشاء الله لهدى الناس جميعا" إيجازا و إيثارا للاختصار))[٥]، وهذا الحذف لجواب الشرط كما اتضح سوَّغه

(١) الرعد: ٣١.
(٢) تفسير الميزان:١١/١٩٠.
(٣) المصدر نفسه: ١١/١٩١.
(٤) المصدر نفسه: ١١/١٩١.
(٥) المصدر نفسه: ١١/١٩١.

الاستعمال، ووجود القرينة على دلالة الخطاب، فيترتب على الامر قبولٌ من الجانب المعجمي ليتناسق الملفوظ بالشكل الذي يتناسب مع توجهات الخطاب.

ومن المواضع الأخرى التي ظهر فيها مقبوليَّة الخطاب ضمن تحليلات السيد الطباطبائي تأويل قوله تعالى: ((**فَأَمَّا الْإِنْسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهانَنِ**))[١]، إذ أشار السيد إلى تكرار لفظ(الابتلاء) في الإنعام والتقتير بما يؤكد تناسق العبارة وانسجامها في المضمون؛ إذ قال: ((و يظهر من مجموع الآيتين أولا حيث كرر الابتلاء و أثبته في صورتي التنعيم و الإمساك عنه أن إيتاء النعم و الإمساك عنه جميعا من الابتلاء و الامتحان الإلهي كما قال: "و نبلوكم بالشر و الخير فتنة"))[٢].

وتقدير الخطاب: وأما هو إذا ما ابتلاه ربه، وذلك أن قوله (فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ) خبر المبتدأ –وهو الإنسان–، ودخول الفاء لما في (أما) من معنى الشرطية، والظرف الذي يتوسط المبتدأ والخبر في تقدير التأخير، كأنه قال: (فأما الإنسان فقائل ربى أكرمن وقت الابتلاء)، فوجب أن يكون (فَيَقُولُ) الثاني خبرا لمبتدإ وجب تقديره، وإن قيل: كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق (أكرمن) وتقديره(أهانن) ابتلاء ؟ قلت: لأنّ كل واحد منهما اختبار للعبد، فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر؟ وكذلك إذا قدَر عليه الرزق فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع؟ فالحكمة فيهما واحدة، ونحوه قوله تعالى: Πوَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةًO[٣]، فإن قيل: هلا قال: فأهانه وقدر عليه الرزق، كما قال فأكرمه ونعمه؟ قلت: لأن البسط إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلا من غير سابقة، وأما التقدير فليس بإهانة له؛ لأنّ الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة، وقد يكون المولى مكرما للعبده ومهينا له، أو غير مكرم ولا مهين[٤]، وفي الاكرام أو التقدير ابتلاه وكلٌ بحسبه، و يطلق اسم البلاء في الاصل على ما يثقل على الطبع، والمنافق يعتقد بطبعه أن الخير هو الخير الدنيوي، و الشر هو الشر الدنيوي[٥]، لأنه لا دين له أصلا، ولمَّا كانت رحمة الله سابقة على غضبه وابتلاءه بالنعم سابق على ابتلائه بإنزال الآلام، ناسب أن يكون القسم الاوّل بالفاء والقسم الثاني بالواو؛ لأن الفاء فيه دلالة الكثرة على خلاف الواو[٦] ، وهذا يناسب كثرة عطاء الله تعالى.

---

(١) الفجر: ١٥–١٦.

(٢) تفسير الميزان: ١٥٨/٢٠.

(٣) الانبياء: ٥٣.

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٧٤٩/٤.

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير:٢٠٨/٢٣.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٨/٢٣.

وبالرجوع إلى السيد الطباطبائي نجده يعتقد بقصدية الملفوظ وملائمته للمقبولية، إذ قال: ((فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه و نعمه فيقول ربي أكرمن" متفرع على ما قبله، فيه تفصيل حال الإنسان إذا أوتي من نعم الدنيا أو حرم كأنه قيل: إن الإنسان تحت رقوب إلهي يرصده ربه هل يصلح أو يفسد؟ و يبتليه و يمتحنه فيما آتاه من نعمة أو حرمة هذا هو الأمر في نفسه و أما الإنسان فإنه إذا أنعم الله عليه بنعمة حسب أن ذلك إكرام إلهي له أن يفعل بها ما يشاء فيطغى و يكثر الفساد، و إذا أمسك و قدر عليه رزقه حسب أنه إهانة إلهية فيكفر و يجزع))[١]، ثم زاد على ذلك ببيان وجوه المقابلة في الخطاب الذي ناسب قبوله عند المتلقي، فقال: ((و الجملة أعني قوله: "فيقول ربي أكرمن" حكاية ما يراه الإنسان بحسب الطبع، و قول الإنسان: "ربي أكرمن" الظاهر في نسبة التدبير إلى الله سبحانه – و لا يقول به الوثنية و المنكرون للصانع – مبني على اعترافه بحسب الفطرة به تعالى و إن استنكف عنه لسانا، و أيضا لرعاية المقابلة مع قوله: "إذا ما ابتلاه ربه"))[٢]، فالمقابلة بين الموردين زاد من مقبولية الخطاب عند متلقيه، وهذا غرض معيار المقبولية التي تتوقف على استقبال المتلقي لنصٍ ما، ومن هنا فقد شكّل التكرار عنصراً مهما في التقابل بذكر لفظ(الابتلاء) في موردي النعمة والتقدير؛ ليكون الملفوظ مناسبا لوحدة الخطاب ومنسجما لماهية الفطرة الإنسانية.

ويرى السيد الطباطبائي أن الخطاب في الآيتين معا تفيدان أن الإنسان يُخيَّل إليه بأن سعادته في الحياة هي التنعم في الدنيا بنعم الله (عزَّ وجل) و هو الكرامة عنده، وفي المقابل يتصوَّر أن الحرمان من النعم شقاء، ثم يردف ويقول ((و الحال أن الكرامة هي في التقرب إليه تعالى بالإيمان و العمل الصالح سواء في ذلك الغنى و الفقر و أي وجدان و فقدان فإنما ذلك بلاء و امتحان))[٣]، وبهذا يجد السيد أن مقبولية الخطاب لها نافذة أخرى غير الذي يتصوَّره عامة النَّاس؛ فالكرامة والشقاء متعلقان بالإيمان والعمل الصالح، فمن تحلَّى بهما فهو في نعمة كبيرة ومن فقدهما فقد فاته نعم الله وإن عاش الغنى والمال، وهذا الحسْنُ في اختيار بعض الألفاظ يزيد من مقبولية الخطاب عند المتلقي.

(١) تفسير الميزان: ١٥٨/٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٨/٢٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٨/٢٠.

## المبحث الثاني

## المقبولية على مستوى البلاغة

توافرت الأدلة على عمق العلاقة بين القوالب اللفظية(الكلمات) وبين دلالاتها (المعاني)، وهذه العلاقة تحدد مقدار مقبولية النص عند المتلقي، ويتحكم سياق الألفاظ بتوجيه دلالاتها المعينة في اطار محدد؛ ليأتي الخطاب فيتوسع في الكشف عن المقصود عبر الاستعمال الذي يتماهى عليه متلقي النص ومتكلمه.

إن النص القرآني هو أكثر النصوص مقبولية، لأنه تختزن جمالية التعبير المناسب للمقام الذي يقال فيه، ويكتنز أساليب البلاغة من الايجاز والاطناب بشكل لا يمكن أن نتصور معها الاستغناء عن لفظٍ أو زيادتها؛ فكل ملفوظ يدلُّ على معان مقصودة لا يتحقق المطلوب لو استعملنا مفردة أخرى، وقد تنبه السيد الطباطبائي لذلك في تحليله للخطاب القرآني خاصة في باب تدرج الاحكام في الموضوع الواحد بما يتناسب مع الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع الاسلامي آنذاك، ففي باب تحريم الخمر مثلاً كشف (رحمه الله) عن أثر الترتيب في مقبولية الخطاب على المستوى البلاغي، إذ ذكر في تحليل قوله تعالى:((**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**))، أن هناك ترتيباً في تدرج الآيات التي جاءت في تحريم الخمر، وبيَّن أنها خمس طوائف مرتَّبة، ثم أشار إلى أنه عند ضم الآيات بعضها إلى بعض يفيد أن آية: ((يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا)) نزلت بعد قوله تعالى: ((تتخذون منه سكرا و رزقا حسنا))[١]، وقبل قوله: ((قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم))[٢]، و قبل قوله تعالى: ((يسألونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير و منافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما))[٣]، و قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه))[٤]، و أكد أن آية (( **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ**)) آخر الآيات نزولا[٥]، ثم زاد على ذلك بقوله: ((و يمكن بوجه أن يتصور الترتيب على خلاف هذا الذي ذكرناه فتكون النازلة أولا آية النحل ثم الأعراف ثم البقرة ثم النساء ثم المائدة فيكون ما يفيده هذا الترتيب من قصة النهي القطعي عن شرب الخمر على خلاف ما يفيده الترتيب السابق فيكون ما في سورة الأعراف نهيا من غير تفسير ثم الذي في سورة البقرة نهيا باتا لكن المسلمين كانوا يتعللون في

---

(١) النحل: ٦٧.

(٢)الأعراف: ٣٣.

(٣) البقرة: ٢١٩.

(٤) المائدة :٩٠.

(٥) ينظر: تفسير الميزان: ١٢٧/٤.

الاجتناب حتى نهوا عنها نهيا جازما في حال الصلاة في سورة النساء، ثم نهيا مطلقا في جميع الحالات في سورة المائدة و لعلك إن تدبرت في مضامين الآيات رجحت الترتيب السابق على هذا الترتيب، و لم تجوز بعد النهي الصريح الذي في آية البقرة النهي الذي في آية النساء المختص بحال الصلاة فهذه الآية قبل آية البقرة، إلا أن نقول إن النهي عن الصلاة في حال السكر كناية عن الصلاة كسلان كما ورد في بعض الروايات الآتية))[١]، وهذه الاشارات التي رسمها السيد العلاّمة في ترتيب نزول آيات التحريم في موضوع الخمر تؤكد مقبولية الخطاب القرآني عند متلقيه في مختلف العصور، فبالرجوع إلى آية: (( **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ** )) يقول السيد الطباطبائي: ((قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا" إلى قوله: "ما تقولون" المراد بالصلاة المسجد، و الدليل عليه قوله: و لا جنبا إلا عابري سبيل، و المقتضي لهذا التجوز قوله حتى تعلموا ما تقولون إذ لو قيل: لا تقربوا المسجد و أنتم سكارى لم يستقم تعليله بقوله: "حتى تعلموا ما تقولون" أو أفاد التعليل معنى آخر غير مقصود مع أن المقصود إفادة أنكم في حال الصلاة تواجهون مقام العظمة و الكبرياء و تخاطبون رب العالمين فلا يصلح لكم أن تسكروا و تبطلوا عقولكم برجس الخمر فلا تعلموا ما تقولون، و هذا المعنى كما ترى – يناسب النهي عن اقتراب الصلاة لكن الصلاة لما كانت أكثر ما تقع تقع في المسجد جماعة – على السنة – و كان من القصد أن تذكر أحكام الجنب في دخوله المسجد أوجز في المقال و سبك الكلام على ما ترى))[٢]، وهذا التحليل أوثق غلى مقبوليَّة الخطاب القرآني عند متلقيه.

واستند السيد الطباطبائي إلى رواية أسندها إلى زرارة عن الامام الصادق عليه أنه قال: ((لا تقم إلى الصلاة متكاسلا و لا متناعسا و لا متثاقلا فإنها من خلل النفاق فإن الله نهى المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة و هم سكارى يعني من النوم))[٣]، ثم أكد أنّ المتمرد عن هذا الخطاب منافق غير مؤمن، وأشار إلى أنَّ قوله: (يعني من النوم) يحتمل أن يكون من كلام الراوي و يحتمل أن يكون من كلامه (عليه السلام) و يكون حينئذٍ تفسيرا للآية من قبيل بطن القرآن، أو يمكن أن يكون من الظهر[٤].

وكل هذا الحسن في الترتيب، والانسجام في المضمون، باتباع سلسلة من الخطوات الناجعة من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في استعراضه لمجموعة من الآيات

---

(١) تفسير الميزان: ١٢٧/٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٧/٤.

(٣) الكافية الاسلامية: ٢٩٩/٣، ووسائل الشيعة: ٤٦٤/٥، وتفسير الميزان:١٢٨/٤.

(٤) ينظر: تفسير الميزان: ١٢٨/٤.

المتلاحقة؛ للوصول إلى الغاية المنشودة أو المقصودة وهي تحريم الخمر، ساعد على زيادة مقبولية الخطاب من الجانب البلاغي بإظهار قوة النص وتماسكه المحبوك والمقبول بعموم مراحله عند المخَاطَب من الناس والمسلمين على وجه أخص.

ولا يقتصر حسن القبول عند المتلقي بحسن الترتيب؛ بل قد يكون لاختيار ملفوظ معيَّن ضمن السياق أثر كبير في زيارة مقبوليّة الخطاب كما في اختيار مفردة (لامستم النساء) في قوله تعالى: (( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوا غَفُوراً))[1]، إذ كشف السيد الطباطبائي الجانب المهم في عدم التصريح بالأمر والاكتفاء بالإشارة بقوله تعالى (لامستم النساء)، فقال: ((إن قوله: "أو لامستم النساء" كسابقه شق من الشقوق المفروضة مستقل و حكمه في العطف و المعنى حكم سابقه، و هو كناية عن الجماع أدبا صونا للسان من التصريح بما تأبى الطباع عن التصريح به))[2]، فالأدب في عرض الموضوع رعاية للوضع الاجتماعي وللحشمة بشكل عام أبلغ من التصريح الذي قد يخدش بالوجدان لصعوبة تقبله عند المتلقي ولاسيما أن النص قد جاء ممن يُعتقد برعايته للخصوصيات وعنايته بالألفاظ.

ثم ناقش (رحمه الله) من ذهب إلى قوله تعالى "و إن كنتم جنبا" أولى بالإشارة وكاشف للمقصود وبشكل أبلغ في رعاية الأدب، فقال السيد الطباطبائي رداً عليهم: ((نعم لكنه كان يفوت نكتة مرعية في الكلام، و هي الدلالة على كون الأمر مما يقتضيه الطبيعة كما تقدم بيانه، و التعبير بالجنابة فاقد للإشعار بهذه النكتة))[3]، فالسيد ينظر بلحاظ آخر غير الذي يفهمه عامَّة المفسرين، إذ يُفهم من كلامه إيمانه بأن استعمال القرآن للمفردة يحاكي المقصود بأسلوب ينهج منهج الستر، والتأدب في البيان رعاية للجانب الاخلاقي، فموضوع المجنب أعمُّ من موضوع(أو لامستم النساء)، ولهذا فإن الملفوظ الاوَّل لا يغني عن الثاني في الاشعار بالنكتة.

والجدير بالذكر أن جمهور من المفسرين ذهبوا إلى أن المراد بـ(أو لامستم النساء) هو حقيقة اللمس[4]، وردَّ السيد الطباطبائي على ذلك وبيَّن فساد ما نُسب إليهم مؤكد بأن

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) تفسير الميزان:١٣١/٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٣١/٥.

(٤) تفسير الإمام الشافعي:٧٠٨/٢، و جامع البيان في تأويل القرآن:٣٨٩/٨، والكشف والبيان عن تفسير القرآن:٣١٤/٢، و الوسيط في تفسير القرآن المجيد:٥٨/٢.

الدلالة لا تُحمل على التصريح الظاهر؛ بل الانسب أن تكون كناية عن الجماع[١]، وهذا وإن ردَّه السيد الطباطبائي في تفسيره كما مرَّ ذكره إلا أن المورد قد لا يستلزم الرد؛ باعتبار أن المقام يستلزم التفسير الثاني الذي يؤكد الكناية عن الجماع وإلا كيف يمكن أن نتصوَّر أن مجرد اللمْس بين الجلد والجلد يستوجب الغسل كما اتضح من سياق قصد المفسرين؛ ومن هنا فإن الأقرب إلى المقبولية في هذا الخطاب هو اعتبار (لامستم النساء) كناية عن الجماع، وهذا يتناسب مع الفطرة التي فطر الله الناس عليه، ويُبعد المتلقي عن التأويلات التي قد لا تنسجم مع مقصود الخطاب.

ومن المواضع الأخرى التي كشفها السيد الطباطبائي في تفسيره من باب أثر المقبولية في تحليل الخطاب القرآني مسألة بعثة الانبياء إلى أقوامهم؛ لغرض التعليم والتزكية كما في قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ))[٢]، إذ إن عملية التعليم تستوجب الفهم والإفهام، وهذ المدار يوجب على المعلم أن يكون بينه وبين من يعلمهم لغة مشتركة- رَسُولاً مِنْهُمْ- يفهمونه ويفهمهم، ذلك أن العرب كانوا فيما سبق متمسكين بدين إبراهيم (عليه السلام)، ثمَّ بدلوه وغيروه وخالفوه واستبدلوا دين التوحيد بالشرك، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك فعل أهل الكتاب الذين بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وعمدوا إلى تأويلها في غير مواردها، فبعث الله تعالى محمدا (صلى الله عليه وآله) بشريعة عظيمة كاملة شاملة لجميع الخلائق، فيه هدايتهم وفيه بيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم[٣]، وهذا يتناسب مع تطلعات الفرد الذي كان يعيش التيه والضلال.

وأكد السيد الطباطبائي على (منهم) بمعنى من جنسهم، وأُرسل إلى الناس كافَّة[٤]، ولمَّا كان من جنسهم كان يفهمهم ويفهمونه، وهذا أدعى إلى المقبولية؛ لأنه يسهم في تقبُّله عندهم.

ومن المناسب أن نلتفت إلى عناصر مقبولية الخطاب من جانب آخر كما وضَّحها العلامة صاحب الميزان، إذ تقدمت التزكية على التعليم في الخطاب، وعلل(رحمه الله) ذلك

(١) تفسير الميزان: ١٣١/٥.
(٢) الجمعة: ٢.
(٣) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير):١٤٢/٨.
(٤) تفسير الميزان:١٤٥/١٩.

بأن التزكية مقدمة في مقام التربية على تعليم العلوم الحقة و المعارف الحقيقية[١]، والآية تصف تربيته (صلى الله عليه وآله وسلم) لمؤمني أمته فكان تقدم التزكية من باب أولى.

وأما قوله تعالى(فِي الْأُمِّيِّينَ) فقد اختلف المفسرون في توجيه قراءتها، واشتهر عندهم أن المقصود هم العرب الذين كانوا يعيشون الأميَّة فيما بينهم بشكل غالب، قال الرازي: ((لأمي منسوب إلى أمة العرب، لما أنهم أمة أميون لا كتاب لهم، ولا يقرءون كتابا ولا يكتبون. وقال ابن عباس: يريد الذين ليس لهم كتاب ولا نبي بعث فيهم، وقيل: الأميون الذين هم على ما خلقوا عليه))[٢]، وزاد على ذلك البيضاوي فألصق صورة الأميَّة بالنبيِّ (صلى الله عليه وآله) أيضا، إذ قال: ((فِي الْأُمِّيِّينَ أي في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرءون. رَسُولًا مِنْهُمْ من جملتهم أمياً مثلهم. يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ مع كونه أمياً مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم))[٣]، والأمية بهذا المعنى قد لا يتناسب مع المجتمع العربي الذي ساد فيه المعلقات الشعرية والكتابات النثرية عبر ترجمة الأمثال المجتمعية آنذاك؛ لذا ضعّف السيد الطباطبائي الروايات التي جاءت بهذا المعنى[٤]، وردَّ عليها مستنداً إلى رواية نقلها عن القمي مرفوعة إلى الامام الصادق عليه السلام قال في تفسير قوله تعالى: (فِي الْأُمِّيِّينَ): ((كانوا يكتبون و لكن لم يكن معهم كتاب من عند الله و لا بُعث إليهم رسول فنسبهم الله إلى الأميين))[٥]، وعلى هذا فإن القوم لم يكونوا أميين؛ بل كانوا من دون رسالة من الله تعالى حتى أكرمهم الله تعالى بالنبيِّ (صلى الله عليه وآله) فأخرجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى الهداية والصلاح.

وأما من ذهب إلى أن النبيَّ (صلى الله عليه وآله) كان أميا؛ لتكون المعجزة أبلغ[٦]، فهذا يُرد بما أثر عنه (صلى الله عليه وآله) وبالروايات التي جاءت موافقة لتفسير الآيات التي أخذت بالحسبان مقام النبيِّ(صلى الله عليه وآله) ومكانته وعصمته، فكل ذلك يؤكد أن معنى الأميَّة فيه (صلى الله عليه وآله) راجع إلى أم القرى[٧]، والروايات ساعدت على هذا التفسير، إذ نقل ابن بابويه ((عن آبائه عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الرِّضَا عليه السلام فَقُلْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَ سُمِّيَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وآله– الْأُمِّيَّ فَقَالَ: مَا يَقُولُ النَّاس قُلْتُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ سُمِّيَ الْأُمِّيَّ لِأَنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ فَقَالَ: (عليه السلام) كَذَبُوا

(١) تفسير الميزان: ١٤٥/١٩.

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير:٥٣٨/٣٠.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢١١/٥.

(٤) تفسير الميزان: ١٤٥/١٩-١٤٦.

(٥) تفسير القمي: ٧١/١، وتفسير الميزان: ١٤٧/١٩.

(٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن:٨١/٥.

(٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢/١٠، والتفسير الصافي:٢٨٤/٢.

عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ أَنَّى ذَلِكَ وَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ:(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياته وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ)، فَكَيْفَ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مَا لَا يُحْسِنُ وَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقْرَأُ وَ يَكْتُبُ بِاثْنَيْنِ وَ سَبْعِينَ أَوْ قَالَ بِثَلَاثَةٍ وَ سَبْعِينَ لِسَاناً، وَ إِنَّمَا سُمِّيَ الْأُمِّيَّ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَ مَكَّةُ مِنْ أُمَّهَاتِ الْقُرَى))[1]، فالنبيُّ (صلى الله عليه وآله) أكمل خلق الله تعالى، وقد علَّمه سبحانه وتعالى لغات العباد والبلاد من الانس والجن؛ بل وحتى الحيوان والنبات؛ لأن نبوته عليه السلام لا ينحصر بخلق دون آخر، وعليه يتوقف الوصول إلى جميع خلق الله سواءً المكلف منهم أو غير ذلك، وهذا آكد للمقبولية سواء على المستوى البلاغي أو سائر الجوانب الأخرى التي يمكن تحكمها معيار المقبولية.

(١) معاني الأخبار: ٥٤.

**النتائج**

بعد هذه الجولة الماتعة في البحث اتضح أن معيار المقبولية الذي تحقق وجوده في النص القرآني الكريم الكثير من التتابع الايجابي في توجيه الخطاب، وقراءته بالشكل الذي ينَّسم مع مقصوده لم يكن بعيداً عن أذهان العرب؛ بل تأكَّد درايتهم ومعرفتهم بمفهومه، إذ كانوا في دراساتهم البليغة كثيراً ما يطالبون منتج النص بمراعاة مقتضى الحال، وكان قبولهم لنصٍ ما مرتبطا بمدى تلك المراعاة، ومن أدلَّة مقبوليتهم للقرآن الكريم هو انبهارهم بنظمه والعكوف على حفظه ودراسته وتفسيره واستعمال آياته كشواهد في مؤلفاتهم اللغوية بكل مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية، وكل ذلك إنما يدل على عمق النص القرآني ومواكبته لكل زمان ومكان.

ومن هنا نجد أن المقبوليَّة كمعيار نصِّي غلب على النصوص المحكمة، ولمَّا كان النص القرآني أكثر النصوص سبكاً وحبكاً تعلقت المقبولية به بشكل واضح، وساعد متلقِّيه على التعلق به أكثر، والغوص في مكائنه لكشف ما يكتنزه من جمالية التعبير، وحسن البلاغة والبيان، ومحاولة الوقوف على الجوانب الاعجازية التي غلبت النصوص القرآنية سواءً على المستوى التركيبي أو المعجمي أو البلاغي، أو غير ذلك مما اشتهر البحث عنه عند متلقي النص.

**ثبت المصادر**


- اعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (٤٠٣هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١ .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
- التبيان في تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ)، المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد، الناشر: دار الغرب الإسلامي – ط ١ – ١٤٢٣ هـ.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١ .
- تفسير الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ٣.
- التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى، (١٠٩١ هـ)، عدد المجلدات: ٥، الناشر: مكتبه الصدر، طهران، تاريخ الطبع: ١٤١٥ هـ، ط ٢.
- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.
- تفسير القمي، علي بن إبراهيم(ت القرن ٣)، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٠٤ هـ، ط ٣.
- تفسير الميزان، العلامة محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، لبنان، عدد الأجزاء : ٢٠.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤.
- الدرس النحوي النصي في كتب اعجاز القرآن، د أشرف عبد البديع عبدالكريم، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٢٣م.
- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩ هـ، عدد الأجزاء:١.
- الكافي ط الاسلامية، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق(ت ٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، تاريخ الطبع: ١٤٠٧ هـ، ط ٤.
- الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. عدد الأجزاء: ٤.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣ - ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٠.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، عدد الأجزاء: ١ .
- لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط ٣ - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
- المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د نعمان بوقرة، مكتبة نور، جامعة الملك سعود، د ط، د ت.

- معاني الأخبار، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء:١.
- معجم اللغة واللسانيات، هارتمان وستورك، الناشر: دار النشر، د ط، ٢٠١٢.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣ - ١٤٢٠ هـ.
- النص والخطاب والجزاء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، الناشر عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د حسام أحمد فرج، تقديم: سليمان العطار، محمود فهمي، الناشر : مكتبة الآداب، القاهرة، د ط.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد ، النيسابوري، الشافعي (٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.
- ووسائل الشيعة، الحر العاملي، الناشر: نشر آل البيت (عليهم السلام)، ١٤١٤هـ، ٣٠ جزء.

**الرسائل والاطاريح**

- المقبولية في الخطاب القرآني السور المدنية أنموذجا، د سعاد كريمة، كلية التربية/ جامعة القادسية ٢٠١٦.